قال المصنف – رحمه الله –: **[٢٢ – عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك]**.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد روى هذا الحديث الصحابي الجليل أبو عبدالله حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ ، والذي خصه النبي ﷺ بأمر ما كان لغيره من الصحابة ، حيث خصه بالأسرار وأحاديث الفتن التي تقع بين يدي الساعة، وما من فتنة إلا وقد حدثه النبي ﷺ بها ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونه عن أحاديث الفتن، وكان عمر ﷺ يشدد في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ ، وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لأصحابه: من يحدثنا حديث الفتن؟ فقال حذيفة : أنا يا أمير المؤمنين، فقال : إنك عليها لجريء، أي: أنت الذي لها ، والسبب في ذلك: أن رسول الله ﷺ خصه بهذه المنقبة، حتى أخبره من من الصحابة يموت على النفاق، كما ورد عنه – رضي الله عنه وأرضاه –.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ لا يصلي على رجل لم يصل عليه حذيفة، وإنما قلنا من الصحابة من الصحبة، والمراد بذلك: أهل النفاق الذين كانوا يظهرون صحبة النبي ﷺ ويبطنون النفاق – نسأل الله السلامة والعافية –.

فكان حذيفة ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وما زال الصحابة يحفظون له حقه وقدره ، وأبلى في الإسلام بلاءً عظيماً وكان له البلاء يوم فتح نهاوند ، حيث كان له الراية بعد مقتل النعمان رضي الله عنهم أجمعين، توفي ﷺ سنة ست وثلاثين من الهجرة .

يروي لنا هذا الحديث من أحاديث رسول الله ﷺ ، والذي يتعلق بسنته الفعلية، وقد اشتمل هذا الحديث على محافظة رسول الله ﷺ على السواك، وهذه المحافظة وقعت في وقت مخصوص وهو عند القيام من الليل، فاعتنى المصنف رحمه الله بذكر هذا الحديث؛ لكي يبين لنا أمرين :

الأمر الأول: سنية السواك عند الاستيقاظ من النوم، وهو الذي دل عليه لفظ الحديث.

الأمر الثاني: أن السواك مسنون ومستحب عند تغير رائحة الفم؛ لأن المقصود منه النقاء والنظافة.

يقول – رضي الله عنه وأرضاه –: **[كان رسول الله ﷺ]** هذا اللفظ يقول العلماء: يدل على الدوام والاستمرار، وإذا ورد في الحديث "كان رسول الله ﷺ يفعل" فمعنى ذلك: أن هذا الفعل مستحب، وذلك مفهوم من لفظ "كان" التي تشعر بالدوام والاستمرار.

[كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل] "إذا قام من الليل" أي: للتهجد، وهذا هو الأصل في قيامه – صلوات الله وسلامه عليه –، وقد كان تهجده على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: كان في أول الليل، ثم انتقل إلى منتصف الليل، ثم إلى آخر الليل، أعني: الثلث الأخير من الليل.

وقد أشارت أم المؤمنين رضي الله عنها إلى ذلك بقولها: (من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ: من أوله وأوسطه وانتهى وتره إلى السحر).

قال العلماء : أفضل ما يكون قيام الليل: إذا كان في الثلث الأخير؛ لما فيه من الساعة المستجابة وفضل وقت السحر الذي هدأت فيه العيون، وسكنت فيه الجفون، فهو أقرب إلى الإخلاص ، ولأن النفوس تطلب الراحة في مثل هذا الوقت، فكون الإنسان يختاره لمناجاة الله ﷻ فإنه يدل على صدق محبته لله – سبحانه – وخشيته منه – جل و علا –.

وقوله: **[كان إذا قام من الليل]** يقول العلماء: أفضل ما يكون قيام الليل إذا كان بعد النوم والهجود، بمعنى: أن ينام الإنسان ثم يقوم بعد راحته ليقوم الليل، وفضيلة ذلك : أنه يعطي الجسم حقه من الراحة، وثانياً: أنه يذوق لذة النوم فإذا ذاق لذة النوم وحلاوته، وتذكر حلاوة مناجاة الله ﷻ ، آثر ما عند الله على حظوظ نفسه، فكان أبلغ في حبه وأصدق في قربه من الله ﷻ ، ولذلك ورد في الحديث: أن العبد إذا قام في جوف الليل من نومه قال الله تعالى : (يا ملائكتي، عبدي ما الذي أقامه من حبه وزوجه ؟) أي ما الذي أقامه من نومه وضجعته مع أهله ؟ قالوا : إلهنا، يرجو رحمتك ، ويخشى عذابك ، يقول تعالى : (أشهدكم أني قد أمنته من عذابي وأصبته برحمتي) فأفضل ما يكون قيام الليل إذا كان بعد الهجود، وهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ يقوم الليل بعد الهجود، ولذلك أفضله: أن ينام الإنسان ثم يقوم، إلا في ليالي العشر فإن إحياءها والاستمرار في قيامها كاملة هو أفضل وأكمل، لكن إذا ضعف البدن فقال العلماء : الأفضل أن ينام أولها ثم يقوم من آخرها، ولذلك يقولون : إن التهجد مأخوذ من الهجود ، ولا يكون إلا بعد هجدة، حتى قال بعض العلماء: أستحب لمن أراد أن يقوم الليل أن ينام فإن لم يأته النوم على الأقل

يضجطع؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

قال ﷺ: **[كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل]** هذا على الصفة الغالبة، والأمر لا يختص بنوم الليل بل إن المعنى موجود في نوم النهار كما هو موجود في نوم الليل، والذي حفظه حذيفة إنما هو نومه بالليل، وأما نوم النهار فأخذوه من جهة المعنى؛ لأنه عليه الصلاة والسلام راعى تغير رائحة الفم، والسبب في ذلك: أن الإنسان إذا نام واسترخت مفاصله وارتاح جسمه فإن المعدة تخرج أبخرتها إلى الفم، وحينئذ ينتن الفم برائحة هذه الأبخرة ، ولذلك إذا استيقظ الإنسان من نومه وجد تغير رائحة فمه، خاصة إذا كان عن شدة شبع أو شدة جوع.

قالوا : فاستاك – عليه الصلاة والسلام – دفعاً لهذه الرائحة النتنة، وإزالة لما يعلق منها بالأسنان، فأخذ العلماء من هذا: أن السنة كلما تغير فم الإنسان بالرائحة أن يستاك؛ تأسياً برسول الله ﷺ في حرصه على نقاء الفم .

قال – رضي الله عنه وأرضاه –: **[كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يشوص]** شاصه وماصه: إذا دلكه، وقال بعض العلماء: إذا غسله ، وقال بعضهم: إذا نقاه .

فالشوص قيل: هو الغسل وقيل: هو الدلك، وقيل: هو التنقية .

وقال بعض العلماء : المراد بقوله : **[يشوص فاه]** أي: يدلكه بأصبعه وهذا هو القول الرابع ضعيف وأشار إلى ضعفه الإمام الحافظ ابن الملقن وغيره .

والسبب في ذلك: أن الرواية الأخرى **[يشوص فاه بالسواك]** فنص أن الشوص كان بالسواك، وهذا هو الأفضل والأكمل .

وقال بعض العلماء: من لم يجد السواك فلا بأس أن ينقي بأصبعه؛ لأنه إذا لم يصب سنة السواك بالآلة ، فإنه سيصيب المعنى وهو مقصود الشرع من إزالة الأذى ، وبناء على ذلك قالوا : لا حرج أن يدلك بأصبعه فمه إذا لم يجد السواك .

قال ﷺ: **[يشوص فاه بالسواك]** السواك يطلق بمعنين :

يطلق ويراد به : المسواك، وهو العود الذي يستاك به وما في حكمه .

ويطلق السواك ويراد به الفعل نفسه ، فمن إطلاقه بمعنى الآلة هذا الحديث : **[يشوص فاه بالسواك]** يعني: بالآلة .

ومن إطلاقه بمعنى الفعل حديث أبي هريرة – رضي الله عنه وأرضاه –: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)) أي: بفعل السواك عند كل صلاة .

هذا الحديث كما ذكرنا أراد المصنف – رحمه الله – أن يشير به إلى فضيلة السواك عند القيام من الليل، وإذا قام المسلم من ليله وتأسى برسول الله ﷺ ودلك فمه بالسواك أصابته الرحمة؛ لأن الله جعل في الاتساء برسوله ﷺ الخير والرحمة فمن مستقل ومن مستكثر، نسأل الله العظيم أن يجعل لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب.